التحليل البلاغي والأسلوبي وأثره في بناء المعنى في سورة المنافقون

أ. رمضان جمعة سالم بن هندي
قسم اللغة العربية/كلية الآداب/ جامعة سرت

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فلا شك أن للخطاب الشرعي (القرآن والحديث) خصائصه الدينية والروحية والفنية التي جعلت منه خطابا ساميا فوق كل الخطابات البشرية، وقد اكتسب هذا الخطاب قدسيته وأهميته؛ لأنه رسالة سماوية ومنهجٌ تشريعيٌّ قويم منظمٌ لحياة البشر، وقد مثَّل هذا الخطاب حضوراً قوياً وملمحاً بارزاً في الثقافة العربية الإسلامية، جعلت منه مصدراً هاما في الدراسات النظرية والتطبيقية التي تناولت النص الشرعي منذ بداية عصر التأليف في القرن الأول الهجري، وقد كان للدراسات اللغوية والأدبية نصيبها في تناول النص الشرعي.

وقد حملت سورة المنافقون نموذجاً من الخطاب القرآني حذّر الله فيه نبيه محمد ﷺ من المنافقين وحيلهم وكيدهم وما يضمرونه من عداوة وبغضاء ضد الإسلام والمسلمين في صورة فاضحة لحياتهم وطريقة عيشهم ومعاملتهم للمسلمين، لأنهم أشد خطرا من أعداء الإسلام الآخرين، كما نبهت المسلمين على خطورة الانشغال بالأموال والأولاد والغفلة عن ذكر الله، وحثتهم أيضاً على الإنفاق في سبيل الله قبل فوات الأوان وانتهاء الأجل.

وحمل هذا الخطاب صورا متعددة من الظواهر البلاغية والأسلوبية، التي رسمت صورا متعددة لحياة المنافقين ساهمت في اعطاء صورة واضحة عن حياتهم ومعاملتهم للمسلمين بألفاظ وعبارات موجزة، وبذلك أسهمت الصور البلاغية والأسلوبية في نقل المعنى للمتلقي بصورة مؤثرة وفعَّالة.

يهدف البحث إلى إبراز الظواهر البلاغية والأسلوبية في بناء الصورة الكلية التي حملها هذا الخطاب القرآني في سورة المنافقون من خلال تحليل هذه الظواهر ومحاولة الربط بينها حسب توارد الآيات في السورة الكريمة. واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: تسمية السورة وسبب نزولها وموضوعها

المطلب الثاني: التحليل البلاغي.

المطلب الثالث: التحليل الأسلوبي.

سعى الباحث إلى إبراز أهمية التحليل اللغوي عامة والبلاغي الأسلوبي خاصةً في بناء المعنى للنص الشرعي وخصائصه الفنية، والتركيز على ترابط النص القرآني في رسم الصورة الكلية لحياة المنافقين، متوسلا بالمنهج البلاغي التحليلي في إطار رؤية شاملة حاولت الكشف عن الظواهر البلاغية والأسلوبية التي ساهمت في نقل المعنى للمتلقي بصورة فعالة ومؤثرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1]

(1) المنافقون، الآيات 1 /11.

المطلب الأول:

تسمية السورة وموضوعها وسبب نزولها

التسمية:

سُميت السورة بسورة المنافقون ''اعتباراً بذكر أحوالهم وصفاتهم فيها''[1] وقد فضحتهم السورة وكشفت عن مخازيهم وإجرامهم، فهم بتظاهرهم بالإسلام يصدون الناس عن دين الله وينالون من دعوة الإسلام ما لا يناله الكافر المعلن لكفره؛ ولذلك كان خطرهم أعظم، وضررهم أشد. ''ووقع في صحيح البخاري وبعض كتب التفسير تسميتها ((سورة المنافقون)) على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وكذلك ثبت في كثير
من المصاحف المغربية والمشرقية''[2].

وهي مدنية، عدد آياتها إحدى عشرة آية جاءت في ترتيب السور بعد سورة الجمعة؛ لوجود المناسبة بين السورتين، فسورة الجمعة تحدثت عن المؤمنين وصفاتهم، بينما تحدثت سورة المنافقون عن المنافقين وأحوالهم.

ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك حيث يربط سبب نزول السورة بما تحدثت عنه سورة الجمعة من ترك بعض الصحابة النبيﷺ يخطب في صلاة الجمعة، قال أبوحيان:''إنه لما كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلاً عن المنافقين، واتبعهم ناس كثير من المؤمنين في ذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة إذ كان الوقت وقت مجاعة ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان وأتبع بقبائح افعالهم وأقوالهم''[3].

سبب النزول:

نزلت هذه السورة في غزوة بني المصطلق، وقد وقعت فيها بعض الأحداث التي كشفت المنافقين وكرههم للإسلام والمسلمين، وخلاصة ذلك عن زيد بن أرقم أنه قال: ''غزونا مع النبي

---

(1) **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج 231/28 .

(2) نفسه، ج28/ 231.

(3) **روح المعاني**، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ت، المجلد9، ج 14، ص303.

ﷺ وكان معنا ناس من الأعراب وكنا نبدر الماء وكان الأعراب يسبقوننا فيسبق الأعرابي أصحابه فيملأ الحوض ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه فأتى رجل من الأنصار فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه الأعرابي فأخذ خشبه فضرب بها رأس الأنصاري فشجه فأتى الأنصاري عبد الله بن أبي رأس فأخبره –وكان من أصحابه– فغضب عبد الله بن أُبي ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الأعراب ثم قال لأصحابه إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل قال زيد وأنا ردف عمي فسمعت عبد الله فأخبرت رسول الله ﷺ فانطلق وكذبني فجاء إليَّ عمي فقال: ما أردت أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك المسلمون فوقع عليّ من الغم ما لم يقع على أحد قط، فبينما أنا سائر مع الرسول ﷺ إذ أتاني فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الدنيا فلما حصبنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ حتى بلغ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾ حتى بلغ ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾''[1].

فلما نزلت هذه السورة وبان كذبه قيل لعبد الله بن أ أبيٌّ يا أبا حباب أنه قد نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك فلوَّى رأسه فذلك قوله:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ الآية.[2]

موضوع السورة:

تناولت السورة بصفة خاصة والقرآن الكريم بصفة عامة ''نوع خاص من النفاق، وهو النفاق في العقيدة، أي أن يطهر الإنسان الإيمان ويبطن الكفر، كما تحدث القرآن عن أسلوب المنافقين سواء في السلم أو في الحرب، من حيث نشر الإشاعات الكاذبة بقصد التشكيك، وإضعاف الروح المعنوية، وزعزعة الإيمان، وإثارة اليأس في القلوب''[3].

---

(1) **أسباب النزول**، الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دراسة وتحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط6، 1994م، ص361، 362.

(2) نفسه، ص362.

(3) **روح القرآن الكريم، تفسير جزء قد سمع**، عفيف عبد الفتاح طبارة، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، د.ت، ص97.

وهي تتضمن حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجبن وانطماس البصائر والقلوب[1].

والنفاق مدعاة لاقتراف الأخلاق الذميمة: كالرياء والخداع والمداهنة والغدر، والكذب والخيانة، وهي أوصاف ألصقها الله بالمنافقين، وهي آفات تفتك بأجسام الأمة، لهذا حارب الإسلام النفاق في كثير من سور القرآن، مبيناً فيها صفات المنافقين، وعاقبتهم يوم القيامة.[2]

ثم يختم الله هذه السورة ''بتحدير المؤمنين من كل ما يلصق بهم من صفات المنافقين من الغفلة عن ذكره اشتغالا بالأموال والأولاد، والتقاعس عن
الصدقات''[3]. فالانشغال بالأموال والأولاد والغفلة عن الصلاة وعن ذكر الله وعدم الانفاق في سبيل الله هي من صفات المنافقين، وبذلك أراد الله تحدير عباده المؤمنين من هذه الصفات.

المطلب الثاني:

التحليل البلاغي[4]

يقول تعالى مخاطبا رسوله ﷺ بشأن بيان حقيقة المنافقين وكشف أستارهم:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[5].

جاء التأكيد في قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ ﴾''بأن واللام للازم الفائدة وهو علمهم بهذا الخبر المشهود به، فيفيد تأكيد الشهادة''[6]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ جملة اعتراضية بين قولهم ﴿ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ ﴾وقول الله تعالى مبيناً حقيقة أمرهم ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ

(1) **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت/ القاهرة، ط17، 1412هـ، ص3572.

(2) ينظر نفسه، ص97.

(3) نفسه، ص102.

(4) سيتناول هذا المطلب التحليل اللغوي بشكل عام والبلاغي بشكل خاص وذلك لخصوصية النص القرآني من ناحية المعنى والدلالة.

(5) **المنافقون**، الآية، 1.

(6) **روح المعاني**، شهاب الدين الألوسي، مجلد9/ ج14، ص303

إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ "لدفع توهم تكذيبهم في دعوى رسالته ﷺ لئلا يتوهم السامع أن قولهم ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ ﴾ كذب في حد ذاته"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ إظهار في موضع الإضمار، حيث سبق ذكرهم في صدر الآية، لذمهم وتسجيل هذه الصفة القبيحة عليهم، كما جاءت الصيغة مؤكدة بإن واللام والاسمية لزيادة التقرير وبيان الحالة التي هم عليها من النفاق والكذب والخداع، فقوة التأكيد بأنَّ واللام لدلالة التصاق الكذب والخداع بهم وهما من صفات المنافقين. وذكر الطيبي "أن هذا نوع من التتميم لطيف المسك، ونظيره قول أبي الطيب [2]:

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِبٍ تَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِياً

فالتكذيب راجع إلى (نشهد) باعتبار الخبر الضمني الذي دل عليه التأكيد وهو دعوى المواطأة في الشهادة أي والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوه قولهم (نشهد) من دعوى المواطأة وتوافق اللسان والقلب"[3].

يقول تعالى بشأن بيان خداع المنافقين: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢ ﴾ جاءت هذه الآية تأكيدا للآية السابقة وتوضيح لها فهي بيان ما جاء مجملاً في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾، "في الآية (استعارة بديعة) فإن أصل الجنة: ما يُسْتتر به من المخاطر كالدرع والترس وسائر أسباب الستر والوقاية، شُبهت أيمانهم الكاذبة التي كانوا يحلفون بها بالجُنة، بطريق الاستعارة التصريحية وهي من ألطف أنواع البديع "[4].فقد صرح بالمشبه به وهو الجنة على سبيل الاستعارة التصريحية، ومعنى الآية أنهم اتخذوا أيمانهم الكاذبة وقاية لهم وستراً يستترون بها من القتل، ومن هنا صدق عليهم وصف الشاعر:

---

(1) **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997م. ج3/384.

(2) **شرح ديوان المتنبي**، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1986م، ج4، ص427.

(3) **روح المعاني**، شهاب الدين الألوسي، ج28، ص108.

(4) **الابداع البياني في القرآن العظيم**، الشيخ محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006م، ص352.

وَمَا انْتَسَبُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلاَّ لِصَوْنِ دِمَائِهِمْ أَنْ لَا تَسَالَا

''وجيء بالفعل ﴿ يَشْهَدُ ﴾ في الإخبار عن تكذيب الله تعالى إياهم للمشاكلة، حتى يكون إبطال خبرهم مساوياً لأخبارهم''[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ''تذييل لتفظيع حالهم عن السامع، وساء من أفعال الذم تلحق ببئس ... لقصد إفادة الذم مع إفادة التعجب من حالهم التي حاولوا فيها خداع الرسول والمسلمين، واظهارهم خلاف ما يبطنون''[2].

يقول تعالى بشأن بيان حقيقة إيمان المنافقين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾[3]. في الآية طباق بين(آمنوا) و(كفروا) وقد جاءت هذه الآية في موضع العلة لمضمون الآية السابقة عليها، وإطلاق اسم الإيمان على المنافقين مجاز[4] وعلى هذا يجوز أن يكون (ثم) مستعملا في معنييه الأصلي والمجازي على ما يناسب محمل فعل (آمنوا) ولو حُمل المنافقون على واحد معين وهو (عبد الله بن أبي،) الذي آمن ثم كفر فيكون اسناد (آمنوا) حقيقة وتكون (ثم) للتراخي في الزمان. والباء في قوله تعالى بأنهم للسببية ''(بِأَنَّهُمْ) أي بسببِ أنَّهم (ءامَنُواْ) أي نطقُوا بكلمة الشهادةِ كسائرِ منْ يدخُل في الإسلامِ (ثُمَّ كَفَرُواْ) أي ظهرَ كفرُهُم بما شُوهدَ منهم من شَواهدِ الكُفْرِ ودلائِلِه أو نطقُوا بالإيمانِ عندَ المؤمنينَ ثم نطقُوا بالكفرِ عند شياطينهم''[5].

يقول تعالى راسما صورة أخرى للمنافقين ومحذرا من خبثهم وكيدهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾[6] ''هذا انتقال إلى وَضْح بعض أحوالهم التي لا يبرزونها إذا جاءوا إلى النبي ﷺ

(1) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج235/28.

(2) نفسه، ج236/28.

(3) المنافقون، الآية،3.

(4) ينظر، **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 237/28، 238.

(5) **تفسير أبو السعود**، المسمى إحياء العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت، ج 6، ص326

(6) المنافقون، الآية، 4.

ولكنها تُبرز من مشاهدتهم، فكان الواضح الأول مفتتحاً بـ(إذا جاءك المنافقون) وهذا الوضح مفتتحاً بـ(إذا رأيتهم) وهذه الجملة معطوفة على جملة (فهم لا يفقهون) واقعة موقع الاحتراس والتتميم لدفع إيهام من يغره ظاهر صورهم"[1]. واتبع انتفاء فقه عقولهم بالتنبيه على عدم الاغترار بحسن صورهم فإنها أجسام خالية عن كمال الأنفس،[2] كقول حسان:[3]

لاَ بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ غِلَظٍ جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامِ الْعَصَافِيرِ

وفي قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ تشبيه بديع "شُبهوا في جلوسِهم في مجالِس رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مستندينَ فيها بخشبٍ منصوبةٍ مُسندةٍ إلى الحائطِ في كونِهم أشباحاً خاليةً عن العلمِ والخيرِ"[4] وهو تشبيه مرسل ومجمل. ويرى الألوسي "جواز أن يراد بالخُشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شُبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم ،"[5] وشبهوا بالخشب المسندة تشبيه تمثيل في حسن المرأى وعدم الجدوى، أفيد بها أن أجسامهم المعجب بها ومقالهم المصْغى إليه خاليان عن النفع كخلو الخشب المسندة عن الفائدة.[6]

وفي قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ تعبيرٌ رائعٌ يرسم صورتهم شاخصة وكأنهم يخافون من ظلالهم فإذا نادي المنادي لأي أمرٍ حسبوا أنهم المقصودون به دون غيرهم لذلك هم في خوفٍ وهلعٍ [7].

وفي قوله تعالى: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ قدَّم الضمير على الاسم للاختصاص، والجملة "يجوز أن تكون استئنافاً ناشئاً عن جملة سابقة﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾؛ لأن تلك الجملة

---

(1) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 28/ 238.

(2) نفسه، ج238/28.

(3) **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**، شرحه: عبد أمهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م، ص129.

(4) **تفسير أبو السعود**، ج 327/6.

(5) **روح المعاني**، للألوسي، ج23/21.

(6) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج28 /240

(7) **الإبداع البياني في القرآن الكريم**، للصابوني، المكتبة العصرية، بيروت ط1، 2006م، ص 353.

لغرابة معناها تثير سؤالاً عن سبب خوفهم وهلعهم وتخوفهم من كل ما يتخيَّل منه بأس المسلمين"، والتعريف في (العدو) تعريف الجنس الدال[1]على معيّن كمال حقيقة العدوّ فيهم؛ لأن أعدى الأعادي العدوّ المتظاهر بالموالاة والنصرة والتأييد.

يقول تعالى واصفا حال المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[2]. وُصلت الجملة بسابقتها لاشتمالها على بيان جديد لحالهم وهم في معرض النصيحة، فقد صور القرآن الكريم حالهم، وجاء ذلك في قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ عن طريق الكناية ﴿ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ ﴾ "أي عطفوها وهو كناية عن التكبر والإعراض على ما قيل؛ وقيل : هو على حقيقته أي حركوها استهزاء "[3].

يقول تعالى:﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[4] في الآية طباق سلب بين ﴿ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ وقد وصُلت الجملة بسابقتها لاتحادها معها في المعني وهي تأكيداً لها؛ لأن قوله تعالي:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ مضمونها عدم انتفاعهم بما يقوله الرسول لهم؛ لذلك جاء وصفهم في نظم الآية بالحال والجملة الاسمية،﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ فالاستكبار يتنافى مع حصول الانتفاع."والآية للتيئيس من إيمانهم أي إن استغفارك يا محمد وعدمه سواء فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم"[5]. وحذفت همزة الاستفهام في ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ " قُرئ استغفرتَ بحذفِ حرفِ الاستفهامِ ثقةً بدلالةِ أمْ عليهِ"[6] فهي للتسوية

(1) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 241/28.

(2) **المنافقون**، الآية، 5.

(3) **روح المعاني**، للألوسي، ج25/21.

(4) **المنافقون**، الآية،6.

(5) **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، ج387/3.

(6) **تفسير أبو السعود**، ج6/ 328.

بين الأمرين[1] الاستغفار لهم وعدمه، والمراد الإخبار بعدم الفائدة كما يُفصح عنه قوله ﷻ شأنه ﴿ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ وتعليله بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ ''والإشارة إلى علة الحكم أو الجنس وهم داخلون دخولاً أولياً، والآية في ابن أبيّ...والاستغفار لهم قيل: على تقدير مجيئهم تائبين معتذرين من جناياتهم''[2].

يقول تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾[3] والمنافقون'' إنما قالوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء، إذ لو كانوا مؤمنين بنبوته ورسالته، لم يقولوا مثل ذلك الفجور''[4] وهنا ينتقل النظم القرآني إلى ذكر صفة أبشع من صفاتهم وهي التحريض علي البخل وعدم الإحسان للمسلمين الذين اتبعوا الدين الجديد ؛ لذلك جاءت مفصولة عن النظم السابق لها.'' وموقع الجملة الاستئناف الابتدائي المعْرب عن مكرهم وسوء طواياهم انتقالا من وصف إعراضهم عند التقرب من الرسول ﷺ إلى وصف لون آخر من كفرهم وهو الكيد للدِّين في صورة النصيحة''[5].

يقول تعالى رادا على المنافقين كذبهم وافتراءهم: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ في هذه الآية ''رد على زعم المنافقين من أن عدم إنفاقهم على من عند رسول الله ﷺ يؤدي إلى انفضاضهم عنه ﷺ ببيان أن خزائن الأرزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي منها من يشاء ويمنع من يشاء''[6].﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ﷻ؛ ولذلك يقولون من مقالات الكفرة ما يقولون.

يقول تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ

(1) **روح المعاني**، للألوسي، مجلد9، ج14، ص308.
(2) نفسه، ص308.
(3) **المنافقون**، الآية7
(4) **الإبداع البياني في القرآن الكريم**، للصابوني، ص353.
(5) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 246/28.
(6) **روح المعاني**، للألوسي، مجلد9، ج14، ص310.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] في هذه الآية "استئناف ثان على أسلوب التعداد والتكرير ولذلك لم يُعطف، ومثله يكثر في مقام التوبيخ"[2]. فقد عقب بنفي العلم عنهم، وهذا النفي مناسب لقضية إسناد العزة لله[3] ولرسوله ﷺ وللمؤمنين؛ لأنها ظاهرة واضحة لا تحتاج في إثباتها وتحقيقها، إلى تدبر عميق وتفكر واسع فالله ﷻ مُعز لأوليائه، مذل لأعدائه حقاً وصدقاً.

يقول تعالي: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ في الآية طباق بين (الأعز) و(والأذل) وفيها فن القول بالموجب[4] وهذا الفن هو أن يخاطب المتكلم شخصاً بكلام فيعمد الشخص المخَاطَب إلى كل مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من كلامه ما يوجب عكس معنى المتكلم؛ لأن حقيقة القول بالموجب رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه، فإن موجب قول المنافقين الآنف الذكر في الآية اخراج الرسول ﷺ المنافقين من المدينة وقد كان ذلك، ألا ترى أن الله تعالى قال بعد ذلك: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي ولكن المنافقين لفرط جهلهم وغرورهم لا يعلمون أن العزة لله ولأوليائه دون اعدائه. وتقديم المسند على المسند إليه في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ لقصد القصر وهو قصر صفة على موصوف فقصر صفة العزة على الله دونهم، كما أنه قصر قلب؛ لأن الله قلب الصفة التي أرادوا أن يتصفوا بها إليه وإلى رسوله والمؤمنين، "وإعادة اللام في قوله: ﴿وَلِرَسُولِهِۦ﴾ مع أن حرف العطف مُغن عنها لتأكيد عزة الرسول ﷺ وأنها بسبب عزة الله ووعده إياه، وإعادة اللام أيضا في قوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ للتأكيد أيضا إذ قد تخفى عزتهم وأكثرهم في حال قلة وحاجة"[5].

---

(1) **المنافقون**، الآية،8.

(2) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، الجزء 249/28.

(3) ينظر، **أحاديث في السور القرآنية**، محمد الكواز، جمعية الدعوة الإسلامية، دار الملتقى للطباعة والنشر، ط1، 2002م، ص241.

(4) ينظر، **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**، محمود صافي، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، دمشق، ط4، 1418هـ، مجلد،14 ، ص258، 259. وينظر أيضاً، إعراب القرآن وبيانه، محي الدين أحمد بن مصطفى الدرويش، دار اليمامة، دمشق/ بيروت، ط4، 1415 هـ، مجلد7، ص533.

(5) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج28، ص250.

يقول تعالى محذرا عباده المؤمنين من الغفلة عن ذكر الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[1] في هذه الآية مجاز حيث أسند الالهاء إلى الأموال والأولاد وكأنها عاقلة مريدة قادرة على إلهاء المؤمنين عن ذكر الله، وفيها ''انتقال من كشف أحوال المنافقين المسوق للحدر منهم والتحذير من صفاتهم، إلى الإقبال على خطاب المؤمنين بنهيهم عما شأنه أن يشغل عن التذكر لما أمر الله ونهى''[2]، فالمناسبة لهذا الانتقال هو حكاية مقال المنافقين ولذلك قدم ذكر الأموال على ذكر الأولاد لأنها أهم بحسب السياق[3]، ونودي المخاطبون بطريق الموصول لما تؤذن به الصلة من التزامهم لامتثال النهي. وخصَّ الأموال والأولاد بتوجه عن الاشتغال بها اشتغالاً يلهي عن ذكر الله؛ لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس على إنمائها والتفكير في اكتسابها بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد. ''وأفاد ضمير الفصل في قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ قصر صفة الخاسر على الذين يفعلون الذي نُهوا عنه، وهو قصر ادعائي للمبالغة في اتصافهم بالخسران كأن خسران غيرهم لا يُعد خسراناً بالنسبة إلى خسرانهم''[4].

يقول تعالى حاثا عباده المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله:﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[5] في الآية مجاز حيث أسند المجيء إلى الموت وكأنه عاقل ومريد قادر على المجيء. ومِنْ في الآية للتبعيض، أي بعض ما رزقناكم وهذه توسعة من الله على عباده،[6] وهذا البعض منه ما هو معين المقدار مثل مقادير الزكاة وصدقة الفطر، ومنه ما يتعين بسدّ الخلة الواجب سدّها مع طاقة المنفق كنفقات الحج والجهاد والرباط ونفقات الواجبة ونفقات مصالح المسلمين، وفي هذه الآية إبطال ونقض لكيد

(1) **المنافقون**، الآية، 9

(2) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 250/28.

(3) نفسه، ج28، ص250، 251.

(4) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 252/28.

(5) **المنافقون**، الآية، 10.

(6) ينظر، **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 253/28.

المنافقين حين قالوا: ﴿ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ وهو يعم الإنفاق على الملتفين حول رسول الله ﷺ والإنفاق على غيرهم فكانت الجملة كالتذييل، وفعل (أنفقوا) مستعمل في الطلب الشامل[1] للواجب والمستحب فإن مدلول صيغة: أفعل مطلق الطلب، وهو القدر المشترك بين الوجوب والندب.

يقول تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2] في الآية اعتراض في آخر الكلام[3] فالواو اعتراضية تذكيراً للمؤمنين بالأجل لكل روح عند حلولها في جسدها و(لن) لتأكيد نفي التأخير وعموم (نفساً) في سياق النفي يعم نفوس المؤمنين وغيرهم.

يقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ هذه الجملة عطف على جملة ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ﴾ أو تذييل والواو اعتراضية، ويفيد بناء الخبر على الجملة الاسمية تحقيق علم الله بما يعلمه المؤمنون[4].

المطلب الثالث: التحليل الاسلوبي

سُميت السورة بسور المنافقون؛ لوجود لفظة المنافقون في الآية الأولى منها، وعلى غرار سور كثيرة منها سورة الإسراء، وطه، والمؤمنون، والفرقان، ويس، والصافات، وص، وق، والذاريات، والطور، والنجم والقمر وغيرها، حيث ذُكِرَتْ أسماؤها داخل سورها.

وفي سورة المنافقون ذُكرت لفظة (المنافقون) في الآية الأولى مما يحقِّقُ تماسكا نصيًّا بين اسم السورة والسورة نفسها، فقد بدأت الآية الأولى منها بقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[5] التي ذكرت لفظ المنافقون صراحة وبينت سبب تسميتهم بالمنافقين لكذبهم على الله ورسوله.

---

(1) نفسه، ج252/28.

(2) **المنافقون**، الآية، 11.

(3) ينظر، **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 255،256/28.

(4) ينظر، نفسه، 262/28.

(5) **المنافقون**، الآية، 1

والمحور الذي تدور حوله السورة هو الحديث بإسهاب عن النفاق والمنافقين حتى سُميت بهذا الاسم الفاضح لأستار المنافقين، مما يحقق تماسكا نصيا بين اسم السورة والسورة نفسها عبر الآية الأولى، ولعل السبب يعود إلى أن محور السورة وبؤرتها الرئيسة "فضح أحوال المنافقين"[1] الذي مهد له بقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[2] وهذا المحور أو البؤرة تنطلق منه جميع الأحداث وتؤول إليه فهي مثابة إنذار لجميع المكذبين "فإنهم يقولون بألسنتهم ما لا تعتقده قلوبهم، ثم تآمرهم على الرسول ﷺ وعلى المسلمين"[3] فأخذت أمثلة من هؤلاء المكذبين ؛ ليتحقق هذا التماسك النصي في السورة، وهذا بدوره يعبر عن التماسك الدلالي للسورة.

ومما يدل على تماسك السورة أنها اتخذت نغم النون في نهاية كل آية منها فقد جاءت نهاية الآيات على النحو الاتي: (لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ وهو النغم الأخير من لفظة (المنافقون) وبه سميت السورة، وهي بهذا تشبه سورة القدر، والعصر، والكوثر، وكذلك تشبه سورة الناس التي بُنِيَتْ على نغم السين، والقمر التي بُنِيَتْ على نغم الرَّاء، والفيل التي بُنِيَتْ على نغم اللام، "فكأن هناك ربطاً بين عنوان السورة وحروف فواصلها"[4] وهذا يؤدي إلى الترابط والتماسك بين اسم السورة (المنافقون) وما تحدثت عنه من صفاتهم وأفعالهم وهو ما تنادي به الدراسات البلاغية والاسلوبية الحديثة.

فبداية السورة الكريمة بصيغة الجمع (المنافقون) يقول تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾[5] دون ذكر المقصود بذلك يحمل معنى التعريض الذي أشار إليه ابن عاشور" لما كان نزول هذه السورة عقب خصومة

(1) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 233/28.

(2) **المنافقون**، الآية، 1.

(3) **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، ج382/3.

(4) **أحاديث في السور القرآنية**، محمد كريم الكواز، ص239.

(5) **المنافقون**، الآية، 1

المهاجرين والأنصار ومقالة عبد الله بن أبيّ في شأن المهاجرين، تعين أن الغرض من هذه الآية التعريض بكذب عبد الله بن أبيّ وبنفاقه فَصِيغَ الكلام بصيغة تعمّ المنافقين لتجنب التصريح بالمقصود على طريقة قول[1] النبي ﷺ"[2].

كما يمكن القول: إن القرآن الكريم عامل المنافقين بأسلوبهم في إخفاء حقيقة نفاقهم من ناحية، ومن ناحية أخرى تحركهم بشكل جماعي، فقد جاء حديث القرآن عنهم بصيغة الجمع (المنافقون) دون التصريح بذكر أسمائهم، وقد بدأت السورة بخطاب الرسول ﷺ ثم عدل النص القرآني إلى ضمير الغائب لتوضيح حقيقة المنافقين، وهو التفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة يجعل المتلقي يعيش ويسمع الأحداث وكأنه يعايشها عياناً.

وقد جاءت "جملة ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ معترضة بين الجملتين المتعاطفتين وهذا الاعتراض لدفع إيهام من يسمع جملة ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ أنه تكذيب لجملة ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ ﴾"[3] والإيهام المدفوع هو قولهم : قالوا نشهد إنك لرسول الله، فالسامع لقولهم لا يعتقد حصول تصديقهم برسالته ﷺ ووقوع الإيمان في قلوبهم حقيقةً، والمعنى إنما قالوا ذلك لحفظ دمائهم وأموالهم من المسلمين .[4]

يقول تعالى في شأن بيان حقيقة المنافقين ظاهراً وباطنا:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ﴾[5] جاءت الجملة مفصولة عن سابقتها لأنها منها بمنزلة العلة لمضمونها؛ ففيها بيان سبب سوء أعمالهم، حيث أنهم آمنوا ثم كفروا فطُبع على قلوبهم، ومجيء الفعل مبني للمجهول (فَطُبِعَ) للعلم بالفاعل، وهذه الصيغة عُدل فيها عن التعبير بالمعلوم وهو الله ﷻ وإيذانا بعظمته فهو

(1) "ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله" **التحرير والتنوير**، محمد علي الصابوني، ج234/28.

(2) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج28، ص234.

(3) نفسه، ج28، ص235.

(4) **روح المعاني للألوسي**، ج19/21.

(5) **المنافقون**، الآية، 2، 3.

مُقلب القلوب والعالم بخفايا النفوس، المعنى " تمرنُوا على الكفرِ واطمأنُّوا بهِ وقرئ على البناءِ للفاعلِ وقرئ فطبعَ الله على قلوبهم"[1].

يقول تعالى مخاطبا نبيه بشأن المنافقين، ومحذراً رسوله من خطورة عداوتهم كونهم العدو الخفي: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾[2] الخطاب في الآية للنبي ﷺ وهو عام لجميع المؤمنين، فكما صحت منه الرؤيا ﷺ صحت من غيره من المؤمنين، وكما يجب عليه الحذر من المنافقين، وجب على غيره من المؤمنين أن يحذروا كيد المنافقين وغدرهم، و(كلَّ) هنا مستعمل في معنى الأكثر ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ لأنهم إنما يتوجسون خوفاً من صيحات لا يعلمون أسبابها كما استعمله النابغة في قوله[3]:

بِهَا كُلَّ ذَيَّالٍ وَخَنْسَاءَ تَرْعَوِي إِلَى كُلِّ رَجَّافٍ مِنَ الرَّمْلِ فَارِدِ

والعدو: اسم يقع على الواحد والجمع[4] والمراد: الحذر من الاغترار بظواهرهم الخلابة يُخلص المسلمون إليهم بسرهم ولا يتقبلوا نصائحهم خشية المكائد. ﴿ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ أي حركوها وهزوها استهزاءً واستكباراً،[5] وجيء بصيغة المضارع ﴿ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ﴾ ليدل على استمرارهم على الاعراض والعناد هذا حالهم في العناد ومجافاة الرسول ﷺ والاعراض عن التفكر في الآخرة بَلَهْ الاستعداد للفوز فيها.

يقول تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ

(1) **تفسير أبو السعود**، ج 326/6.

(2) **المنافقون**، الآية، 4، 5.

(3) **ديوان النابغة الذبياني**، اعتنى به وشرحة: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 2005م، ص43.

(4) ينظر، **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج28، ص242.

(5) **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، ج386/3.

خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾[1] من بلاغة نظم الآية الكريمة أنها صارت مثلاً يُضرب لكلُّ متكبرٍ عنيد في كل زمان ومكان وبذلك قال ابن عاشور " واعلم أن تركيب: سواء عليه أكذا أم كذا، ونحوه مما جرى مجرى المثل " وهذا من بدائع العدول في المثل حيث ينقل هذا التركيب بمدلوله إلى حالة مشابهة له. وهذا من العدول عن الذكر ﴿ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ وأدي الحذف المعنى الذي يؤديه الذكر لوجود قرينة الحذف (أم) المعادلة.

يقول تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ ﴾ هذه الآية افْتتحت بالضمير الظاهر دون الاكتفاء بالمستتر في (يقولون) معاملة لهم بنقيض مقصودهم فإنهم ستروا كيدهم بإظهار قصد النصيحة ففضح الله أمرهم بمزيد التصريح، أي قد علمتُ أنكم تقولون هذا، وفي إظهار الضمير أيضاً تعريض بالتوبيخ.

ومن البلاغة في الآية الكريمة مجيء التعريف بالاسم الموصول (الذين) الذي لا يتحقق معناه إلا بصلته، فكان ذلك مناسباً لهم في ذكر كلامهم الذي يدل علي خبث نواياهم اتجاه المسلمين، فكان في ذلك معنى دقيق وهو ملازمة الخبث لنفوسهم كملازمة الصلة بالموصول، ولذا عدل عن أي طريقٍ آخر من طرق التعريف كالإشارة والعَلمية وغيرها.

يقول تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2]وقد جاء التعبير بصيغة الجمع (يقولون) وهو عدول إذ الأصل (يقول) " وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن قائل هذه المقالة عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول كما تقدم في طالعة تفسير هذه السورة فإسناد هذا القول إلى ضمير المنافقين لأنهم تقبلوه منه إذ هو رأس المنافقين أو فشا هذا القول بين المنافقين فأخذوا يبثونه في المسلمين "[3] ، ولعل هذا من المجاز في إطلاق صيغة الجمع والمراد منها المفرد لعلاقته بالجماعة ؛ إذ ارتضوا مقالته هذه. "و(حتّى) مستعملة في التعليل بطريقة المجاز المرسل لأن معنى {حتى} انتهاء الفعل

(1) **المنافقون**، الآية،6، 7.

(2) **المنافقون**، الآية،8.

(3) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 246/28.

المذكور قبلها وغايةُ الفعل ينتهي الفاعل عن الفعل إذَا بلغها، فهي سبب للانتهاء وعلّة له، وليس المراد فإذا نفضوا فأنفقوا عليهم"[1] وهو من العدول في دلالة الحرف.

واشتمل النظم الكريم على عدول بالحذف حيث حذف المضاف "ونصب «الأعز» و«الأذل» على هذه القراءات مصدر أو حال على تقدير مضاف كخروج أو إخراج أو مثل.

يقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسله والمؤمنين". [2]

ومن العدول أيضاً تقديم الخبر وهو الجار والمجرور (لله) على المبتدأ (العزة) إذ الأصل أن يأتي المبتدأ أولاً، ثم خبره. وقد أفاد هذا العدول حصر العزة في اسم الجلالة فهي لا تتعداه[3].

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[4]، وهنا عدول في نوع الأسلوب حيث سارت الآيات السابقة على منوال واحد وهو الخبرية؛ لكشف ما تنطوي عليه نفوس الكفار والمنافقين، ثم عدل النظم إلى الإنشاء في خطاب المؤمنين حيث جاءت صيغة النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ وعدل النظم أيضاً في التعريف بالاسم الموصول الواقع في جملة النداء "ونودي المخاطبون بطريق الموصول؛ لما تؤذن به الصلة من التَّهمم لامتثال النهي"[5].

وفي قوله تعالى: ﴿ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ أُسْنِدَ الإلهاء للأموال والأولاد، وقد نهى الله تعالى الأموال عن إلهاء المؤمن، والمراد في الحقيقة نهي المؤمن[6] عن الالتهاء بما ذُكر، والمعنى لا تلتهوا بالمال والأولاد عن ذكر الله وهذا من باب النهي لشيءٍ والمراد غيره.

---

(1) نفسه، ج28/ 247.

(2) **تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرغشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، ج296/5.

(3) ينظر، **روح المعاني**، للألوسي، ج30/21.

(4) **المنافقون**، الآية، 9

(5) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج 251/28.

(6) **لمسات بيانية**، فاضل صالح السمرائي، دار عمار، عمان الأردن، د ط، 1998م، ص179.

فقد عدل عن نهي المؤمن إلى نهي الأموال والأولاد، وفي هذا العدول مجموعة فوائد[1] منها:

- أنه نهى الأموال عن التعرض للمؤمن وإلهائه عن ذكر الله، فكأنه قال: أيها الأموال لا تُلهي المؤمن عن ذِكْري، فكأن الله يريد حماية المؤمن وذلك بنهي السبب عن التعرض له فيكف عن التعرض.
- وفي هذا النهي مبالغة إذ المراد نهي المؤمن ولكنه بدأ بأصل المسألة وهي الأموال والأولاد فنهاها هي عن التعرض للمؤمن بما يلهيه، فقد جعل الله المؤمن كأنه مطلوب من قبل الأموال والأولاد تسعى لإلهائه وفتنته فنهاها عن السعي لهذا الأمر لينقطع سبب الالتهاء.
- في هذا النهي إهابة للمؤمن ألاّ يقع في شَرَ ك الأموال والأولاد بحيث تلهيه وهو غافل مسلوب الإرادة، فنسب الإلهاء إليها ليأخذ المؤمن حَذَره منها.
- هذا إضافة إلى ما فيه من التعبير المجازي اللطيف، وهو إسناد الإلهاء إلى الأموال فجعلها عاقلة مريدة تنصب الشرك لوقوع المؤمن في الفخ.
- وقد جاء بـ(لا) بعد حرف العطف فقال: ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ ولم يقل (أموالكم وأولادكم) ذلك أن كلاً من الأموال والأولاد داعٍ من دواعي الإلهاء،[2] فالمال داع من دواعي الإلهاء وكذلك الأولاد، ولو قال (أموالكم وأولادكم) لاحتمل أن يكون النهي عن الجمع بينهما، فلو لم يجمع بينهما جاز، وهو غير مراد إذ المراد عدم الانشغال بأيّ واحد منهما على سبيل الانفراد أو الاجتماع.
- وقد جاء تقديم الأموال على الأولاد؛ لأن الأموال تلهي أكثر[3] من الأولاد، فإن الانشغال فيها وفي تنميتها يستدعي وقتاً طويلاً وقد ينشغل المرء بها عن أهله، فلا يراهم إلاّ لماماً فقدم الأموال لذلك.
- قدم المفضول على الفاضل، فالولاد أفضل من الأموال لأن المال إنما يكون في خدمتهم ويترك لهم وذلك لأكثر من سبب.

---

(1) نفسه، ص180.

(2) نفسه، ص181.

(3) نفسه، ص181.

يقول تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾" اختار الخسران نهاية للآية أنسب شيء ههنا فإنه المناسب للالتهاء بالأموال والانشغال بها... إن هذا خسران وليس ربحاً حيث باع العظيم الباقي بالحقير الفاني."[1].

يقول تعالى في الحث على الإنفاق في سبيل الله قبل فوات الأوان: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2]. الجملة مفصولة عن سابقتها ومتحدة معها في الأسلوب فهي إنشائية بدأت بفعل الأمر أنفقوا، ولعل الأصل فيها ترك العطف ولكن عدل النظم عن الوصل إلى الفصل، وفي ذلك يتحقق معنى التنبيه إلى الإنفاق، ثم عدل النظم الكريم عن الأسلوب الإنشائي إلي الخبري المتمثل في حكاية حال من فاته الإنفاق في الدنيا ولم يعبئ بالأمر الوارد في صدر الآية ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ وقد أفاد العدول معنىً دقيق وهو تنبيه النفوس المحبة للمال وجمعه إلى عدم نفعه في الحياة الآخرة إن لم ينفق فيما أمر الله به.

وفي هذه الآية مجموعة من الفوائد الاسلوبية[3] منها:

- قال: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ فجاء بـ(من) الدالة على التبعيض ولم يقل: (وأنفقوا ما رزقناكم) للدلالة على أن الإنفاق إنما يكون في قسم من المال ولا يشمل المال كله.
- أسند الرزق إلى نفسه فقال:(من ما رزقناكم) للدلالة على أن هذا المال إنما هو من رزق الله ﷻ وهذا التعبير اللطيف مدعاة إلى الخروج عن الشح والاستجابة لأمر الله.
- جاء بمن في قوله تعالى: ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ ولم يقل: (قبل أن يأتي أحدكم الموت) وفي هذا إشارة إلى قرب الموت من الإنسان، وأنه على الإنسان أن يسابق الموت ويبادر بالعمل الصالح.

---

(1) **لمسات بيانية**، فاضل صالح السامرائي، ص183.

(2) **المنافقون**، الآية، 10.

(3) ينظر، **لمسات بيانية**، فاضل صالح السامرائي، ص186، 187.

- قدم المفعول به على الفاعل، فقال: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ ولم يقل: (يأتي الموت أحدكم) ذلك لأن المفعول به هو المهم ههنا.
- جاء بالفاء في قوله: ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ ﴾ ولم يأت بثم أو الواو، ذلك لأن الفاء تفيد معنيي السبب والعطف، في حين أن ثم أو الواو لا تفيد السبب، بل تفيد العطف وحده.
- ناسب بين المجيء بالفاء الدالة على قصر الوقت وحذف حرف النداء فقال: (رب) ولم يقل (يا رب) لأن الوقت لم يعد يحتمل التضييع.
- جاء بـ(لولا) فقال: ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ ﴾ ولم يقل: (لو أخرتني) لأن لولا أشد في الطلب من لو وقائلها أكثر إلحاحاً من قائل لو فإن لو تكون للطلب برفق، أما لولا فتكون للطلب بشدة وحث، ومعنى ذلك أن ما هو فيه يستدعي الإلحاح في الطلب.
- جاء بالفعل الماضي بعد لولا فقال: ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ ﴾ ولم يقل: (لولا تؤخرني) ذلك أن المحذور وقع في حين أن الفعل المضارع قد يفيد أن الأمر لم يقع بعد وأن في الأمر سعة، هذا علاوة على ما يفيد دخول (لولا) على الماضي من قوة الطلب وشدته وإن كان مستقبل المعنى.

ولماَّ قدَّم الالتهاء بالمال في الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ قدَّم الصدقة.[1] في هذه الآية ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ والصدقة إنما هي إخراجٌ للمال من اليد والقلب، والالتهاء إنما هو انشغال به بالقلب والوقت والجارحة، وكذلك لما قال: ﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ في الآية السابقة قال في هذه الآية ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ لأن المنشغل عن الفرائض وذِكْر الله ليس من الصالحين، فهو تنا ظر جميل.

يقول تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (لولا) حرف تحضيض، والتحضيض الطلب الحثيث المضطر إليه، ويستعمل (لولا) للعرض أيضا والتوبيخ والتندم والتمني على المجاز أو الكناية، والأصل في الحرف (لولا) أن يأتي بعدها الفعل مضارعاً وعدل عنه في هذا النظم "وحق الفعل بعدها أن يكون مضارعاً وإنما جاء ماضياً هنا لتأكيد إيقاعه في دعاء الداعي ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ حتى كأنه قد تحقق مثل ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾

(1) **لمسات بيانية**، فاضل صالح السامرائي، ص181.

وقرينة ذلك ترتيب فعلَيْ ﴿ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ عليه "[1].

يقول تعالى محذرا عباده المؤمنين من التسويف: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2] اشتمل النظم الكريم على تأكيدٍ بديع حيث جاء في صورة النفي وهو من أروع صور العدول، قال الزمخشري: " {وَلَن يُؤَخّرَ الله } نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة ، والمعنى: إنكم إذا علمتم أنّ تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه، وأنه هاجم لا محالة"[3] وأفاد العدول عن التعريف إلي التنكير في قوله تعالى: (نفسا) العموم والمعنى عموم (نفساً) في سياق النفي يعم نفوس المؤمنين وغيرهم .[4]

ومن دقيق العدول المعجز في النظم القرآني المتمثل في استبدال المفردات والمجيء بأذقها وأنسبها للمعني وأشملها للمراد "وإيثار وصف { خبير } دون عليم ، لما تؤذن به مادة { خبير } من العلم بالأمور الخفية ليفيد أنه تعالى عليم بما ظهر من الأعمال وما بَطن مثل أعمال القلب التي هي العزائم والنيَّات "[5].

(1) ينظر، **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج28، ص253.

(2) **المنافقون**، الآية، 11.

(3) **تفسير الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الزمخشري، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 2009م ص1111.

(4) **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج28/ 255.

(5) نفسه، ج28، ص256.

النتائج:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

بعد هذه الرحلة الشيقة مع سورة المنافقون يصل البحث إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها ما يأتي:

1. رسم الخطاب القرآني صورا متعددة لحياة المنافقين، كاشفة حياتهم وتعاملهم مع الرسول ﷺ والمسلمين، حيث بدأ النص القرآني بأهم هذه الصور ثم توالت الصور تكشف عن ترابط النص القرآني في رسم الصورة الكلية لحياة المنافقين على النحو الآتي:

- جاءت الصورة الأولى كاشفة ما يتعلق بعقيدة المنافقين، وكذبهم على الرسول ﷺ يقول تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1]
- جاءت الصورة الثانية لتكشف حقائق هامة تدور داخل قلوب المنافقين وما احتوته من خداع ونفاق، يقول تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2].
- جاءت هذه الصورة أكثر خصوصية حيث انتقلت إلى حياة المنافقين اليومية واستخدمت التجسيم والتصوير والتشبيه والكناية، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[3].
- نقلت هذه الصورة ما حكاه المنافقون في غزوة بني المصطلق، والرد على أقوالهم من الله ﷻ يقول تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ

---

(1) **المنافقون**، الآية، 1.

(2) **المنافقون**، الآية، 2، 3.

(3) **المنافقون**، الآية، 4.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨ ﴾[1].

2. حدر الله ﷻ عباده المؤمنين من الغفلة عن ذكر الله، كما حثهم على الإنفاق في سبيل الله قبل فوات الأوان، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ ﴾[2].

(1) **المنافقون**، الآية، 7، 8.

(2) **المنافقون**، الآية، 9، 10.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**، مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (الإصدار 1) 1426هـ.

1. أحاديث في السور القرآنية، محمد الكواز، جمعية الدعوة الإسلامية، دار الملتقى للطباعة والنشر، ط1، 2002م.
2. أسباب النزول، الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دراسة وتحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط6، 1994م.
3. الإبداع البياني في القرآن الكريم، للصابوني، المكتبة العصرية، بيروت ط1، 2006م.
4. إعراب القرآن وبيانه، محي الدين أحمد بن مصطفى الدرويش، دار اليمامة، دمشق/ بيروت، ط4، 1415 هـ.
5. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
6. تفسير أبو السعود، المسمى إحياء العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت.
7. تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرغشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
8. تفسير الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الزمخشري، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 2009م.
9. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، دمشق، ط4، 1418هـ.
10. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرحه: أ. عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1994م.
11. ديوان النابغة الذبياني، اعتنى به وشرحة: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 2005م.

12. روح القرآن الكريم، تفسير جزء قد سمع، عفيف عبد الفتاح طبارة، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، د.ت.
13. روح المعاني، تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ت.
14. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997م.
15. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت/ القاهرة، ط17، 1412هـ.
16. لمسات بيانية، د. فاضل صالح السمرائي، دار عمار، عمان الأردن، د ط، 1998م.